مجلة خليج العرب
للدراسات الإنسانية والاجتماعية

Arabian Gulf Journal of Humanities and Social Studies

ISSN: 3080-4086

الإصدار الرابع - العدد العاشر || تاريخ الإصدار 2026-01-20

جماليات الأسلوب القرآني وأسراره البيانية

(دراسة تطبيقية على الربع الأخير من القرآن الكريم)

The Aesthetic Beauty of Qur'anic Style and Its Rhetorical Secrets
(An Applied Study of the Last Quarter of the Holy Qur'an)

الدكتور حمادة خالد محمد علوان

Dr. Hamada Khaled Mohmmad Olwan

موظف حكومي بوزارة التربية والتعليم العالي- غزة

DOI: https://doi.org/10.64355/agjhss41023

مجلة خليج العرب للدراسات الإنسانية والاجتماعية || هذه المقالة مفتوحة المصدر موزعة بموجب شروط وأحكام ترخيص مؤسسة المشاع الإبداعي(CC BY-NC-SA)

الملخص:

استهل الباحث حديثه في التمهيد عن علم البيان كمقدمة ثم تطرق إلى أنواع علم البيان وهي أربعة أنواع كما سيأتي:

فقد تحدث عن التشبيه تعريفا ثم تقسيما لأنواعه وتفسيرا وشرحا للآيات القرآنيةوتوضيح جماليات هذا الأسلوب، ثم تحدث عن الاستعارة المكنية والتصريحية وما تركتها من آثار بلاغية ودلالية، ثم تحدث عن الكناية بأنواعها الثلاثة، ثم تحدث عن المجال المرسل ثم قام بعمل جدول إحصائي وقام بتحليل النتائج. .

أهداف البحث: توضيح مدى علاقة النحو بالبلاغة من خلال قراءة الناحية البلاغية لكل تركيب .وربطا الجانب البلاغي بالآيات القرآنية لتتضح المقاصد المرجوة من هذه الآيات القرآنية.

- توضيح جماليات الأسلوب البياني في القرآن الكريم
- ترسيخ جذور قويّة للبلاغة القرآنية في الدراسات العربية.

الكلمات المفتاحية: علم البيان، التشبيه، الاستعارة التصريحية، المجاز المرسل، الكناية.

Abstract:

The researcher began his talk in the introduction to the science of rhetoric as an introduction, then touched upon the types of rhetoric, which are four types as follows**:**

He talked about the metaphor by definition, then a division of its types, an explanation and an explanation of the Qur'anic verses, and an explanation of the aesthetics of this method, then he talked about the metaphorical and declarative metaphor and the rhetorical and semantic effects it left, then he talked about metonymy with its three types, then he talked about the sender**.**

Research objectives: To clarify the relationship of grammar with rhetoric by reading the rhetorical aspect of each structure. And linking the rhetorical aspect with the Qur'anic verses, so that the desired objectives of these Qur'anic verses are clear**.**

- Clarifying the aesthetics of the graphic style in the Holy Quran
- Establishing strong roots of Qur'anic rhetoric in Arab studies.

Keywords: The science of statement, simile, declarative metaphor, transmitter metaphor, metonymy.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أتقن كلّ شيءٍ صنعًا، وفطر النفوس على حبّ الجمال، وزيّن ما خلَقَ بزيناتٍ روائعَ تميلُ إليها النفوس، وتأنَسُ بها وترتاح إليها، وهي تدلُّ على إبداع خالقها وإرادته الحكيمة، في كلّ ما خلق من ظواهر وبواطن.

هو الذي أنزل كتابَهُ القرآن معجزاً، ومن إعجازه ما فيه من جمالٍ بيانيّ وبلاغةٍ رائعة لا ترقى إلى مِثْلها بلاغَةُ جميع البلغاء، ولا فصاحة جميعِ الفصحاء.

والصلاة والسلام على رسُولِنا محمّدٍ خاتم النبيّين والمرسلين، وإمامهم، مَنْ خَصَّه الله بالدّينِ الخاتم، وهو أبلغ العرب وأفصح من نطق بالضاد. أما بعد...

فقد ركز الباحثان في هذا البحث على باب البيان فقط، والذي يعد من الفنون البلاغية الراقية والمهمة، ذلك أن هذا الفن قد انتشر في القرآن الكريم بكثرة، لاسيما في السور المكية وقصار السور، لذا كان توجه الباحثان إلى الربع الأخير من القرآن الكريم.

أسباب اختيار الموضوع:

- أن هذا الموضوع من الموضوعات البديعية المهمة التي تبرز مدى البلاغة والبديع القرآني، مما جعلني أفكر مليًّا في اختياره كعنوان لهذا البحث.
- إغناء المكتبة العربية بدراسات بلاغية تطبيقية على الآيات القرآنية.
- مساعدة طلاب العلم على فهم الدرس البلاغيّ في القرآن الكريم؛ لأنَّ دراسة بلاغة القرآن الكريم بهذه الطريقة فيها إفادة كبيرة، ولفت كبير لأنظار الباحثين لينحوا هذا المنحى.
- الكشف عما يميز الأساليب البلاغية القرآنية عن غيرها، وذلك عن طريق مقارنتها بالأسلوب البلاغيّ ذاته، ولكن مع تغييرٍ في تركيبه النحوي، وفي هذا تأكيد على أهمية الدرس البلاغي.

الجهود والدراسات السابقة:

بعد الدراسة والبحث حصلت على مجموعة من الدراسات السابقة ذات الصلة ولكنها -على ما يبدو- قليلة ومحدودة، وهي:

1- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند الإمام عبد القاهر الجرجاني: للدكتور عبد الفتاح لاشين، وقد شمل فيها الباحثان بالدراسة الشواهد)شعرية وقرآنية) عند الإمام الجرجاني وكيف كان يدرسها بلاغيًا من خلال تراكيبها النحوية.

2- دلالات التراكيب : للدكتور محمد محمد أبو موسى، وهو كتاب جليل القدر، تناول هذا العالم فيه بعض مسائل علم المعاني من ناحية تراكيبها النحوية في آيات متفرقة من القرآن الكريم.

3- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني،(رسالة دكتوراة)، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، 1413 هـ - 1992 م، القاهرة، مصر.

4- الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، محمد حسين سلامة، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربية، 1423هـ ـــ 2002م، القاهرة، مصر.

منهج البحث :تم في هذه الخطة على المنهج الوصفي التحليليّ، حيث تناول موضوع البحث دراسة: جماليات الأسلوب البياني وأسراره في القرآن الكريم. (دراسة تطبيقية في الربع الأخير من القرآن الكريم).

آليّة الدّراسة:

أما عن آليّة الدّراسة، فهي تتمثل في استقراء التراكيب والجمل في الآيات القرآنية ذات الصلة، ورصدها ومن ثم تصنيفها حسب النوع ومناقشتها وتطبيقها وربطها بالموضوعات البلاغية الموجودة في علم البيان .

التمهيد:

البيان لُغةً:"ما يبينه الشيء، من الدلالة وغيرها. وبـان الشيء: اتضح فهو بيّن، واستبان الشيء :ظهر. والبيان الفصاحة واللسن، كلام بين فصيح. البيان الإفصاح مع ذكاء، والبيّن من الرجال: الفصيح والسمح اللسان، ولأنّ أبين من فلأنّ أي أفصح منه واوضح كلاما، والبيان: إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو من حسن الفهم وذكاء القلب مع اللسن، وأصله الكشف والظهور" [(1)] .

(1) ابن منظور، لسان العرب ، مادة (بين).

أما مدلوله في البلاغة فقد تغير عبر الزمن من المعنى الواسع إلى المعنى العلمي الاصلاحي و يعد **السّكّاكي** في كتابه (مفتاح العلوم) اول من حدد أو قسم علوم البلاغة على المعانّي والبيان وما يلحق بهما من محسنات معنوية ولفظية وقد قال في تعريف البيان" أما علم البيان فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، و بالنقصان؛ ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام؛ لتمام المراد منه"(2)

المبحث الأول: السرّ البلاغي في فنون علم البيان في القرآن الكريم.

المطلب الأول: السر البلاغي للتشبيه في القرآن الكريم.

أولًا- التعريف لُغةً واصطلاحًا:-

- **في اللُّغة:**

جاء في اللسان: الشبه والشبيه المثل، أشبه الشي، واشبهت فلأنًا وشابهتـه واشتبه علي، وتشابه الشيئان واشتبها: اشبه كل واحد منهما صاحبه، والتشبيه التمثيل(3)، وهذا ما وجدناه عند **الزمخشري** اذ يستعمل مصطلح التمثيل بدلا من التشبيه كثيرا في تفسيره الكشاف(4) .

- **المفهوم الاصطلاحي:**

التشبيه اصطلاحا: هو عقد مشابهة بين شيئين اشتركا في صفة أو أكثر. **قال أبو هلال العسكري:"** التشبيه الوصف بأنَّ أحد الموصوفين ينوب مناب الاخر بأداة تشبيه"(5) .

وقال **السكاكي**:" أن التشبيه مستدع طرفين مشبها و مشبهًا به، واشتركا فيهما من وجه و افترقا من آخر" (6) .

ولعل التشبيه والاستعارة والكناية كثيرا ما تتعانق وتتصافح مع بعضها وتلتقي، فالاستعارة ماهي إلا تشبيها، وقد نشرت الكتب البلاغية أن الاستعارة يخلفها كناية – بلا منازع -. وكما هو معلوم ومحتم في التراث البلاغيّ فإن المجاز بنوعيه العقلي والمرسل ما سمي بهذا إلا لاجتيازه الحقيقة وعبور باب البيان باتجاهاته الأربعة وعلى ما تقدم يمكن الإفصاح عما يلي:

1- إن التشبيه – وهو مثيل أنواع البيان الأخرى – حتى يتحقق لابد أن نربط بين المعنويات والمجسدات وبين الحقيقة والخيال، إذ إن طرفي التشبيه أحدهما يكون حقيقيا والمتمثل في (المشبه) والطرف الثاني يكون مجازيا والكامن في (المشبه به)، وقد أشبع الحديث الأدبي هذا النوع البيان وهذا الخيال الجزئي بالتمثيل كما يلي:. .

وبما أن التشبيه لا يتحقق سوى بالترابط بين ركني الحقيقة والمجاز حينها ستكون ثمة أشياء خفية وأخرى جلية؛ وبالتالي سيكون التوضيح والبيان هو المختار.

وقفة مع التشبيه

لعل المتتبع لخرائط البلاغة ومفاهيمها يجد أن التشبيه قد احتل نصيب الأسد من بين فنون البلاغة الأخرى، كما يمكن القول: إن وجود التشبيه وتمركزه في الجمل العربية من المزايا التي تجعل الكلام بليغا فصيحا، آخذين بعين الأهمية عدم الغموض عند توظيف التشبيه في الجمل العربية،

(2) أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي، مفتاح العلوم، ص77.

(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة (شبه).

(4) ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، 195/1.

(5)أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد إبراهيم ،ص239.

(6)السكاكي، مفتاح العلوم، ص 157.

ولعل بعض الدراسات قد تحدثت عن نوع من أنواع التشبيه وأطلق عليه **التشبيه المستطرف والتشبيه المبتذل**، وبما أن التشبيه يسبح في الخيال والإيغال في اجتياز الحقائق؛ فهذا أدى بدوره إلى تنوع أساليب التشبيه [7] .

وللتشبيه فوائد قيمة أفصح عنها العلماء منها: الإيجاز، والاختصار، وأفضل فوائده تتمثل في التبيين والتوضيح، حيث وظيفته الأساسية إزالة اللبس والغموض عن المعنى وتجليته للأنظار القريبة إلى الأذهان[8] .

التشبيه في الاصطلاح:

قال **الخطيب القزويني** في الإيضاح : التشبيه: الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى. والمراد بالتشبيه ها-هنا-: ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية، ولا الاستعارة بالكناية، ولا التجريد[9] وقال **التفتازاني** -مُعلقًا -على هذا التعريف:" وينبغي أن يزاد فيه قولنا: بالكاف ونحوه لفظا أو تقديرا؛ ليخرج عنه نحو: قائل زيد عمرا، وجاءني زيد وعمرو[10]" .

وقال **الجرجاني**:" وفي اصطلاح علماء البيان: هو الدلالة على اشتراك شيئين في وصف من أوصاف الشيء في نفسه، كالشجاعة في الأسد، والنور في الشمس. [11] وزاد التعريف وضوحًا **الدكتور عبد الفتاح لا شين** بقوله: عقد مماثلة بين شيئين أو أشياء لاشتراكهما في معنى ما، بأداة ملفوظة أو ملحوظة كالكاف ونحوها لغرض مقصود[12] وشرح التعريف بقوله: (فالجمع بين شيئين) : يدخل فيه التشبيه المفرد، (أو أشياء) يدخل فيه التشبيه المركب.

ثانيا: أنواع التشبيه مع بيان القيم الجماليَّة فيها:

التشبيه باعتبار الإفراد والتركيب، ويتضمن المحاور التالية.

- **تشبيه المفرد بالمفرد.**

والمقصود بالمفرد بلاغيا غير المفرد نحويا، فهنا يعني غير المركب، مثل قول الشاعر:

(والشمس كالمرآة في كف الأشل.) [13]

ومن الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق والحركة السريعة المتصلة وما يحصل من الإشراق بسبب تلك الحركة من التموج والاضطراب حتى يرى الشعاع كأنه يهم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة ثم يبدو له فيرجع من الانبساط الذي بدا له إلى الانقباض كأنه يجتمع من الجوانب إلى الوسط فإن الشمس إذا أحد الإنسان النظر إليها ليتبين جرمها وجدها مؤدية لهذه الهيئة وكذا المرآة إذا كانت في يد الأشل.[14]

- **تشبيه المركب بالمركب.**

"وهو الصورة المكونة من عدد من العناصر مزج بعضها ببعض حتى صارت شيئا واحدًا"[15]

([7]) د. علي الجندي، فن التشبيه، 73/1.

([8]) المصدر نفسه.

([9])القزويني، الإيضاح، ص 164.

([10])سعد الدين التفتازاني، المطول على التلخيص، ص311.

([11])الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، 18/1.

([12])عبدالفتاح لاشين، البيان في ضوء أساليب القرآن، ص37.

([13])أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، شرح مائة المعاني والبيان، 13/14أ.

([14]) الخطيب القزويني، الإيضاح، ص216.

([15]) أ. د. محمد علوان، أ. د. نعمان علوان، من بلاغة القرآن، ص160.

ويقول **عبد القاهر الجرجاني:** اعلم أنى قد قدمت بيان المركب من التشبيه وههنا ما يذكر مع الذي عرفتك أنه مركب ويقرن إليه في الكتب وهو على الحقيقة لا يستحق صفة التركيب ولا يشارك الذي مضى ذكره في الوصف الذي كان له تشبيها مركبا وذلك أن يكون الكلام معقودا على تشبيه شيئين بشيئين ضربة واحدة إلا أن أحدهما لا يداخل الآخر في الشبه ومثاله قول امرئ القيس

(كأن قلوب الطير رطبا ويابسا ** لدى وكرها العناب والحشف البالى) [16]

وذلك أنه لم يقصد إلى أن يجعل بين الشيئين اتصالًا وإنَّما أراد اجتماعا في مكان فقط كيف ولا يكون لمضامة الرطب من القلوب إلى اليابس هيئة يقصد ذكرها أو يعنى بأمرها[17]

ثانيًا- الشواهد البلاغية والقيم الجمالية لهذا الفن البلاغي.

قال - جلَّ وعلا: (يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيم) [الجاثية:8]

حيث شبه (سماع المتكبر لآيات الله) بـ (الذي لم يسمع البتة)، فنجد مثلا في التشبيه الأول أن المتكبر يسمع القرآن الكريم ويصر مستكبرا وهاتين صفتين للمتكبر عند سماعه للقرآن الكريم. أما المشبه به فهو غير متعدد وهو (كالذي لم يسمعها إطلاقا) . لذلك تعدد المشبه دون المشبه به.

التشبيه باعتبار النوع، ويتضمن المحاور التالية.

- **التشبيه البليغ.**

وهو ما حذف منه الأداة ووجه الشبه، ومثال ذلك: العلم نور.

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا) [الإنسان:19]

فشبه (الولدان الذين يمكثون في الجنة) بـ (اللؤلؤ المكنون) ، و" معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب ينعمون بأكواب، والمعنى: أنهم يفشون السلام بينهم، فيسلمون سلاما بعد سلام. وقرئ سلام سلام، على الحكاية".

التشبيه التمثيلي:

يبدو أن التشبيه التمثيلي في مكوناته النَّحْويَّة يتكون من عدة عناصر مركبة ومجتمعة كما وتظهر جلية في طرفي التشبيه، غير أن الطرفين يكون فيها تركيبا تمثيليا، كما نلحظ أنه إذا ما أردنا أن نتوجه إلى التركيب النحوي بشيء من التفصيل.

فالالتفات والتشبيه وأطراف المجاز وألوان البديع والبيان يعطي للتركيب النحوي النَّبويّ بلاغة تختلف أحيانا عما ما هو معد من قواعد نحوية ولغوية اعتاد عليها العرب والغرب.[18] .

وعرف التشبيه التمثيلي بأنه: ما وجهه منتزع من متعدد أمرين أو عدة أمور. [19]

مثل قوله -تعالى- **و" الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ" النور: 39.**

([16]) أحمد بن عمر الحازمي، شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، 34/5.

([17])عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، 168.

([18])د. علي الجندي، فن التشبيه، 73/1.

([19])الخطيب القزويني، الإيضاح، ص371.

الشواهد البلاغية والقيم الجمالية لهذا الفن البلاغي.

كقوله - جلَّ وعلا: (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين) [الجمعة:5]

تشبيه تمثيلي حيث شبه الذين حملوا التوراة ولم يفقهوها ولم يعملوا بها بالحمار الذي يحمل أسفارا فلا يفقه منها شيئا، وقد استخدم أداة التشبيه هنا كلمة(مثل) وهي اسم.

التشبيه باعتبار الأداة، ويتضمن المحاور التالية.

- التشبيه المرسل.

وهو ما ذكرت فيه أداة التشبيه [20] أو" أنه مقول بطريقة عفوية ومرسل على السجية مثل : أنت كالأسد. [21]

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيم) [يس:39].

حيث شبه (القمر) بـ (العرجون القديم)، فذُكِر الطرفان، وهو تشبيه مرسل، حيث ذكرت الأداة وحذف وجه الشبه.

وقال **الزمخشري** في تفسيره:" لا بد من تقدير لفظ يتم به معنى الكلام؛ لأن القمر لم يجعل نفسه منازل، فالمعنى (قدرنا سيره منازل)، وعلى ما ذكره يحتمل أن يقال: المراد منه، والقمر قدرناه ذا منازل؛ لأن ذا الشيء قريب من الشيء" . [22] والعرجون القديم:" هو عود العذق، ما بين شماريخه إلى منبته من النخلة". [23]

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلاَم) [الشورى:32]

حيث شبه (الجوار) بـ (أعلام)، فذُكِر الطرفان، وهو تشبيه مرسل؛ لأن ذكر الأداة.

والجواري هي: السفن الجواري. وقد لوحظ أن كلمة (الجوار) هي مبتدأ مؤخر، وكلمة (كالأعلام) اسم مجرور بحرف الجر والتشبيه (الكاف)، ولكن جاء من ناحية بلاغية تشبيها مرسلا؛ لورود الأداة في الجملة القرآنية التشبيهية.

وكقوله - جلَّ وعلا: (طَعَامُ الأَثِيم)(كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُون) [الدخان:44-45]

حيث شبه (طعام الأثيم) بـ (المهل)، فذُكِر الطرفان، وهو تشبيه مرسل؛ لأن ذكر الأداة.

فجاء التشبيه ليفيد مدى الوضع النفسي والصحي لدى الكفار، الذين لا يرون في جهنم إلا المهل الذي يغلي في البطون كغلي الحميم.

وكقوله - جلَّ وعلا: (مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيم) [الذاريات:42]

فهنا شبه (نتيجة الريح وفعلها بقوم عاد) بـ(الرميم والعظام البالية) ويقول ابن عاشور: "وجملة (مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ) صفة ثانية، أوحال، فهو ارتقاء في مضرة هذا الريح، فإنه لا ينفع وأنه يضر أضرارا عظيمة، وصيغ (تَذَرُ) بصيغة المضارع لاستحضار الحالة

([20]) أ. د. محمد علوان، أ. د. نعمان علوان، من بلاغة القرآن، ص165.

([21]) د. أحمد أبو حاقة، البلاغة والتحليل الأدبي، ص125.

([22])الزمخشري، الكشاف،17/4

([23])المصدر نفسه.

العجيبة". [24] وجملة (جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ) في موضع الحال من ضمير (الرِّيحُ) مستثناة من عموم أحوال (شَيْءٍ) يبين المعرف، أي ما تذر من شيء أتت عليه في حال من أحوال تدميرها إلا في حال قد جعلته كالرميم. والرميم: العظم الذي بلي. يقال: رم العظم، إذا بلى، أي جعلته مفتتا. والمعنى: وفي عاد آية للذين يخافون العذاب الأليم إذ أرسل الله عليهم الريح. [25]

وكقوله - جلَّ وعلا: (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُم) [محمد:15]

وفيها تشبيه تمثيلي، حيث ذكر المشبه والمشبه به صورتان تمثيليتان غير جائزتان عند الله تعالى، وهذا ما تطرق إليه **الزمخشري** قائلا:" كَمَنْ هُوَ خالِدٌ فِي النَّارِ مُشَبَّهٌ بِهِ عَلَى طَرِيقَةِ الْإِنْكَارِ"، فالمشبه(الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ) والمشبه به(كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُم) .

وكقوله - جلَّ وعلا: (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) [الفتح:29]

حيث شبه (طعام الأثيم) بـ (المهل)، فذُكِر الطرفان، وهو تشبيه مرسل؛ لأن ذكر الأداة.

"وقوله تعالى: كزرع أخرج شطأه خبرا مبتدأ محذوف تقديره ومثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع **وثانيها**: أن يكون خبر ذلك هو قوله مثلهم في التوراة وقوله ومثلهم في الإنجيل مبتدأ وخبره كزرع **وثالثها**: أن يكون ذلك إشارة غير معينة أوضحت بقوله تعالى:كزرع". [26] ويقول **أبو السعود:**" وقولُه -تعالى- (كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ)، تمثيلٌ مستأنفٌ أي هُم كزرعٍ أخرجَ فراخَهُ وقيل: هو تفسيرٌ لذلك على أنه إشارةٌ مبهمةٌ وقيل: خبر لقوله -تعالى- ومثلُهم في الإنجيل". [27]

وكقوله - جلَّ وعلا: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُون) [الحجرات:10]

تشبيه بليغ، حيث شبه (المؤمنون) بـ (إخوة)، وحذف الأداة ووجه الشبه. ولعل التشبيه البليغ منح دلالة ورسالة مفادها هي أهمية الأخوة الإسلامية بين المؤمنين.

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُون) [الطور:24]

فهنا شبه (الغلمان) بـ (اللؤلؤ المكنون)، وأداة التشبيه هنا الحرف (كأنّ) . ويقول **ابن عاشور** في التحرير والتنوير:" وشبهوا باللؤلؤ المكنون لحسن المرأى. واللؤلؤ: الدر. والمكنون: المخزون لنفاسته على أربابه فلا يتحلى به إلا في المحافل والمواكب فلذلك يبقى على لمعانه وبياضه". [28]

([24])ابن عاشور، التحرير والتنوير،32/27.
([25])المصدر نفسه.
([26])فخرالدين الرازي، مفاتيح الغيب،89/28.
([27])أبو السعود، تفسير أبي السعود،115/8.

([28])ابن عاشور، التحرير والتنوير،68/27.

شبه (نتيجة الصيحة الواحدة القوية) بـ (الهشيم المحتظر)، فالتشبيه مرسل. ويقول **سيد قطب** في ظلال القرآن:" والمحتظر صانع الحظيرة. وهو يصنعها من أعواد جافة. فهم صاروا كالأعواد الجافة حين تيبس وتتحطم وتصبح هشيما. أو أن المحتظر يجمع لماشيته هشيما تأكله من الأعواد الجافة والعشب الناشف. وقد صار القوم كهذا الهشيم بعد الصيحة الواحدة! وهو مشهد مفجع مفزع. يعرض ردا على التعالي والتكبر. فإذا المتعالون المتكبرون هشيم. وهشيم مهين". [29]

وكقوله - جلَّ وعلا: (فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ) [الرحمن:37]

فشبه السماء (بالوردة) وهي تشبيه بليغ، وشبهها بالدهان كتشبيه مرسل. ويقول **الزمخشري** في تفسير كلمة (وردة كالدهان) :" وقيل : هو ذائب الفضة والنحاس، والكاف رفع خبر بعد خبر".

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَحُورٌ عِينٌ)(كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ) [الواقعة:22-23]

فشبه(الحور العين) بـ(اللؤلؤ المكنون) . وفيها تشبيه مرسل، فخرج التركيب النحوي إلى الغرض البلاغي، متمثل في جمال تلك الحور العين.

وكقوله - جلَّ وعلا: (إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ) [المرسلات:32]

شبه (جهنم) بالشرر كالقصر ويقول **الزمخشري** في كشافه:" بشرار كَالْقَصْرِ أى كل شررة كالقصر من القصور في عظمها. وقيل: هو الغليظ من الشجر، الواحدة قصرة، نحو: جمرة وجمر. [30]

وكقوله - جلَّ وعلا: (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا) [النازعات:46]

فشبه (الحياة الدنيا) بـ(المكوث ليلة أو بعضها)، وهي دلالة على قلة المدة. وهي" جواب عما تضمنه قوله: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا) [النازعات:42] باعتبار ظاهر حال السؤال من طلب المعرفة بوقت حلول الساعة واستبطاء وقوعها الذي يرمون به إلى تكذيب وقوعها، فأجيبوا على طريقة الأسلوب الحكيم، أي إن طال تأخر حصولها فإنها واقعة وأنهم يوم وقوعها كأنه ما لبثوا في انتظار إلا بعض يوم. والعشية: معبر بها عن مدة يسيرة من زمان طويل على طريقة التشبيه، وهو مستفاد من (كَأَنَّهُمْ)، فهو تشبيه حالهم بحالة من لم يلبث إلا عشية، وهذا التشبيه مقصود منه تقريب معنى التشبيه من المتعارف". [31]

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ) [القارعة:5]

شبه (الجبال يوم القيامة) بـ (العهن المنفوش) . "كالصوفِ المصبوغِ ألوانًا لاختلافِ ألوانِ الجبالِ منها جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ ألوانها وَغَرَابِيبُ سُودٌ فإذا بُسَّتْ وطيّرتْ في الجوّ أشبهتِ العهنَ المنفوشَ إذَا طيرته الريحُ".[32]

وكقوله - جلَّ وعلا: (فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ) [القلم:20]

فشبه (الجنة) بـ(الصريم)، وهي الرمل. ويقول **الرازي**:" واعلم أن الصريم فعيل، فيحتمل أن يكون بمعنى المفعول، وأن يكون بمعنى الفاعل وهاهنا احتمالات أحدها: أنها لما احترقت كانت شبيهة بالمصرومة في هلاك الثمر وإن حصل الاختلاف في أمور أخر، فإن الأشجار إذا احترقت

([29])سيد قطب، في ظلال القرآن،3433/6.
([30])الزمخشري، الكشاف،680/4.
([31])ابن عاشور، التحرير والتنوير،87/30.
([32])أبو السعود، تفسير أبي السعود،31/9.

فإنها لا تشبه الأشجار التي قطعت ثمارها، إلا أن هذا الاختلاف وإن حصل من هذا الوجه، لكن المشابهة في هلاك الثمر حاصلة وثانيها: الصريم من الرمل قطعة ضخمة تنصرم عن سائر الرمال، وعلى هذا شبهت الجنة وهي محترقة لا ثمر فيها ولا خير بالرملة المنقطعة عن الرمال، وهي لا تنبت شيئا ينتفع به". [33]

المطلب الثاني: السر البلاغي للاستعارة في القرآن الكريم.

أولًا- التعريف لُغةً واصطلاحًا:-

في اللُّغة:

مأخوذة من العارية أي نقل الشيء من شخص إلى آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار إليه. والعارية والعارة: ما تداولوه بينهم، وقد أعار الشيء أعاره منه وعـاوره إيـاه[34]

المفهوم الاصطلاحي:

لعل **الجاحظ** أول من عرّف الاستعارة فقال:" الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا أقام مقامه [35] . وأطلق عليها اسم المثل والبديع عند تعليقه على بيت **الاشهب بن رميلة:**

هُم ساعد الدّهرِ الذّي يُتقّى به وما خير كفٍّ لاتنوء

ومن البلاغيين الذين نقدوا هذه التسمية وفضلوا استعمال لفظ الاستعارة المظفر العلوي (ت656هـ) عندما قال:" وكان القدماء يسمونها الأمثال فيقولون: (فلان كثير الأمثال) . ولقبها بالاستعارة ألزَمْ؛ لأنّه أعم، ولأنّ الأمثال كلها ليس تجري مجرى الاستعارة" [36] .

ثانيا:أنواع الاستعارة وأسرارها البلاغية.

1- الاستعارة المكنية:

الاستعارة المكنية هي: ما حذف منها المشبه به وبقيت صفة من صفات المشبه به مثل:" **كشر البحر عن أنيابه**: وهنا شبه البحر بوحش مفترس له أنياب، وقد صرح بالمشبه وهو البحر وحذف المشبه به، وهو الوحش المفترس، ولكن أبقى على شيء من صفاته وهي الأنياب.

ثانيا: الاستعارة التصريحية:

أما الاستعارة التصريحية فهي: ما حذف منها المشبه وصرح بالمشبه به". [37] .

الشواهد البلاغية والقيم الجمالية لهذا الفن البلاغي.

كقوله - جلَّ وعلا: (وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) [الزمر:45]

حيث شبه (القلوب) بـ(الإنسان)، فذكر المشبه وهو (القلوب)، وحذف المشبه به وهو(الإنسان)، بجامع البغض والحقد، وأبقى صفة لازمة من لوازم المشبه به والمتمثلة في كلمة(اشمأزت)، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية،وسرُّ جمالها البلاغي فيها هو(التشخيص) .

([33])فخرالدين الرازي، مفاتيح الغيب، 608/30.

(34)ابن منظور، لسان العرب، مادة (عور).

(35)الجاحظ، الحيوان، 280/2 – 283.

(36) برهان الدين البقاعي، الجواهر والدرر في مناسبة الآيات والسور، أطروحة دكتوراة، إشراف: أ. د. محسن احمد، ص88.

([37])ابن أبي الإصبع العدواني، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، ص100.

وكقوله - جلَّ وعلا: (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) [التغابن:8]

فنلحظ هنا حذف المشبه وهو لفظ (الدين الإسلامي)، وصرح بالمشبه به وهو كلمة(النور)، وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية، وبالتالي؛ شبه الدين الإسلامي بالنور بجامع الهداية والطريق القويم.

وكقوله - جلَّ وعلا: (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ) [غافر:35]

حيث شبه (القلب) بـ(ورقة يطبع عليها)، فذكر المشبه وهو (القلب)، وحذف المشبه به وهو(ورقة)، بجامع التثبيت واستحالة التغيير، وأبقى صفة لازمة من لوازم المشبه به والمتمثلة في كلمة(يطبع)، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية، وسرُّ جمالها البلاغي فيها هو(التجسيد) .

وكقوله - جلَّ وعلا: (رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا) [الطلاق:11]

فنلحظ هنا حذف المشبه وهو لفظ (الكفر والطاغوت)، وصرح بالمشبه به وهو كلمة(الظلمات)، وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية.

ونلحظ –أيضًا- أنه حذف المشبه وهو لفظ (الإسلام)، وصرح بالمشبه به وهو كلمة(النور)، وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية. وبالتالي؛ شبه الكفر بالظلمات، بجامع الضلال والفساد، وشبه الدين الإسلامي بالنور بجامع الهداية والطريق القويم.

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ) [فصلت:5]

"والأكنة جمع كنان وهو ما ستر الشيء مثل كنان النبل". [38] حيث شبه (القلوب) بـ(الحديد الذي يصدأ)، فذكر المشبه وهو (القلوب)، وحذف المشبه به وهو(الحديد)، وأبقى صفة لازمة من لوازم المشبه به والمتمثلة في كلمة(أكنة)، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية، وسرُّ جمالها البلاغي فيها هو(التشخيص) .

وعليه؛ خرج التعبير القرآني من كونه عبارات نحوية تعرب إلى كونها دلائل بلاغية راقية، فعند التركيب النحوي لجملة **(قلوبنا في أكنة)** لا ترى فيها إلا خبرا أو جار ومجرور، لكن فيه من الذم والعيب الواضحين بشأن الكافرين والظالمين، وكما يقول **فخر الدين الرازي:**" وهذا كله عيب وذم من الله -تعالى- فيما ادعوا أنهم ممنوعون عن الإيمان ثم قالوا : بل لا بد من حمل الختم والغشاوة على أمور أخرى". [39]

كذلك شبه (القلوب) بـ(الحديد الذي يصدأ)، فذكر المشبه وهو (القلوب)، وحذف المشبه به وهو(الحديد)، بجامع الفساد والإفساد، وأبقى صفة لازمة من لوازم المشبه به والمتمثلة في كلمة(أكنة)، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية، وسرُّ جمالها البلاغي فيهاهو(التشخيص) .

والوقر"أي صمم وثقل يمنع من استماع قولك". [40] ويقول **الزمخشري** في تفسيره لهذه الآية:" وهذه تمثيلات لنبوّ قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده، كأنها في غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها". [41]

([38])فخرالدين الرازي، مفاتيح الغيب،350/20.
([39])المصدر السابق،292/2.
([40])المصدر السابق540/27.
([41])الزمخشري، الكشاف،185/4.

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير) [فصلت:39]

حيث شبه (الأرض) بـ(الشيء المتحرك)، فذكر المشبه وهو (الأرض)، وحذف المشبه به وهو(الشيء المتحرك)، بجامع الحركة والاضطراب، وأبقى صفة لازمة من لوازم المشبه به والمتمثلة في كلمة(اهتزت)، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية، وسرُّ جمالها البلاغي فيها هو(التجسيد) .

فالفعل ترى مضارع والأرض مفعول به منصوب، وخاشعة حال؛ ولكنها مستعارة وليست حقيقية إذ أدت معنى بلاغيا قويا.

وكقوله - جلَّ وعلا: (هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُون) [الجاثية:29]

حيث شبه (الكتاب) بـ(الإنسان)، فذكر المشبه وهو (الكتاب)، وحذف المشبه به وهو(الإنسان)، بجامع البيان والتبيين، وأبقى صفة لازمة من لوازم المشبه به والمتمثلة في كلمة(ينطق)، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية، وسرُّ جمالها البلاغي فيها هو(التشخيص) .

وقال صاحب مفاتيح الغيب: "واعلم أنه -تعالى- شبه الكتاب بمن يصدر عنه البيان فإن الكتاب لا ينطق لكنه يعرب بما فيه كما يعرب وينطق الناطق إذا كان محقا، فإن قيل هؤلاء الذين يعرض عليهم ذلك الكتاب إما أن يكونوا محيلين الكذب على الله -تعالى- أو مجوزين ذلك عليه، فإن أحالوه عليه فإنهم يصدقونه في كل ما يقول سواء وجد الكتاب أو لم يوجد، وإن جوزوه عليه لم يثقوا بذلك الكتاب لتجويزهم أنه سبحانه كتب فيه خلاف ما حصل". [42]

ومن الواضح –هنا- أنه استخدم الفعل (ينطق)، وهو فعل مضارع يدل على الاستمرارية، فاتضح أن الكتاب سيبقى بينا وواضحا للعالمين.

وكقوله - جلَّ وعلا: (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاء اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُم) [محمد:4]

حيث شبه (الحرب) بـ(إنسان)، فذكر المشبه وهو (الحرب)، وحذف المشبه به وهو(الإنسان)، بجامع الاستعداد والتأهب، وأبقى صفة لازمة من لوازم المشبه به والمتمثلة في كلمة(تضع)، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية، وسرُّ جمالها البلاغي فيها هو(التشخيص) .

فجملة (تضع الحرب أوزارها) هي جملة فعلية مكونة من فعل وفاعل ومفعول به، لكن الأسرار البلاغية لهذا التركيب النحوي يؤكد مدى السكون والهدوء والوقوف المؤكد.

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلاَ نَاصِرَ لَهُم) [محمد:13]

حيث شبه (القرية) بـ(إنسان)، فذكر المشبه وهو (القرية)، وحذف المشبه به وهو(الإنسان)، بجامع القدرة والمنعة، وأبقى صفة لازمة من لوازم المشبه به والمتمثلة في كلمة(الشدة والقوة)، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية، وسرُّ جمالها البلاغي فيها هو(التشخيص) .

والقرية هنا" يعني مكة والمراد أهلها فذكر أنهم أخرجوه وقال في هذه الآية: وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها" [43]

وكقوله - جلَّ وعلا: (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى) [النجم:11]

([42])فخرالدين الرازي، مفاتيح الغيب،284/23.
([43])المصدر السابق،381/21.

حيث شبه (الفؤاد) بـ(الإنسان)، فذكر المشبه وهو (الفؤاد)، وحذف المشبه به وهو(الإنسان)، وأبقى صفة لازمة من لوازم المشبه به والمتمثلة في كلمة(كذب)، بجامع الصدق والوضوح، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية، وسرُّ جمالها البلاغي فيها هو(التشخيص) .

وجملة (ما كذب الفؤاد) خرجت من المعنى اللغوي، والتركيب النحوي كجملة منفية إلى دلالة بلاغية مفادها أن الرسول –صلى الله عليه وسلم- شاهد حقيقة دون أي شكّ يذكر.

واللافت للانتباه أن قال ما كذب الفؤاد ولم يقل العين أو اللسان، وهذا من الإعجاز البلاغي والعلمي، إذ ثبت علميًا أن القرار الأخير في الآراء وعند البدائل يكون للفؤاد. كما ثبت أن القلب يرى صاحبه في المنام أشياء لم ترها العين حقيقة.

وكقوله - جلَّ وعلا: (هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيم) [الحديد:9]

فنلحظ هنا أنه حذف المشبه وهو لفظ (الكفر والطاغوت)، وصرح بالمشبه به وهو كلمة(الظلمات)، وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية.

وأيضًا شبه الكفر بالظلمات، بجامع الضلال والفساد، وشبه الدين الإسلامي بالنور بجامع الهداية والطريق القويم، فحذف المشبه وهو لفظ (الإسلام)، وصرح بالمشبه به وهو كلمة(النور)، وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية.

ولعل الجملة القرآنية(لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)، ذكرت غير مرة في القرآن الكريم، فالجملة هنا ليست تركيب نحوي بحت متمثل في الجملة الخبرية، وعملية الإخراج هنا ليست حقيقية وإنما بلاغية، فهي استعارة وهي كناية عن الهداية والضلال.

وكقوله - جلَّ وعلا: (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيم) [الحديد:12]

حيث شبه (نور المؤمنين) بـ(إنسان)، فذكر المشبه وهو (النور)، وحذف المشبه به وهو(الإنسان)، بجامع الخير والبركة والصلاح، وأبقى صفة لازمة من لوازم المشبه به والمتمثلة في كلمة(السعي)، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية، وسرُّ جمالها البلاغي فيهاهو(التشخيص)

ويقول صاحب الظلال:" إنه النور الذي أخرجها الله إليه وبه من الظلمات. والذي أشرق في أرواحها فغلب على طينتها. أم لعله النور الذي خلق الله منه هذا الكون وما فيه ومن فيه". [44]

وكقوله - جلَّ وعلا: (إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاَهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلاَئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِير) [التحريم:4]

حيث شبه (القلوب) بـ(الإنسان)، فذكر المشبه وهو (القلوب)، وحذف المشبه به وهو(إنسان)، بجامع التركيز والانتباه، وأبقى صفة لازمة من لوازم المشبه به والمتمثلة في كلمة(صغت)، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية، وسرُّ جمالها البلاغي فيها هو(التشخيص) .

والجملة النحوية هنا ليست حقيقية، وإنما مجازية فالقلب لايصغي، فاجتاز التركيب النحوي إلى مقاصد بلاغية راقية تؤكد مدى التركيز والانتباه.

وكقوله - جلَّ وعلا: (لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَة) [الحاقة:12]

حيث شبه (الأذن) بـ(إنسان)، فذكر المشبه وهو (الأذن)، وحذف المشبه به وهو(إنسان)، بجامع الانتباه، وأبقى صفة لازمة من لوازم المشبه به والمتمثلة في كلمة(تعيها)، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية، وسرُّ جمالها البلاغي فيها هو(التشخيص) .

(44)سيد قطب، في ظلال القرآن،3485/6.

ويقول صاحب الكشاف:" (أُذُنٌ واعية) من شأنها أن تعي وتحفظ ما سمعت به ولا تضيعه بترك العمل، وكل ما حفظته في نفسك فقد وعيته وما حفظته في غير نفسك فقد أوعيته كقولك : وعيت الشيء في الظرف". [45]

وكقوله - جلَّ وعلا: (يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً) [المزمل:14]

حيث شبه (الأرض) بـ(إنسان)، فذكر المشبه وهو (الأرض)، وحذف المشبه به وهو(إنسان يرتجف)، بجامع الحركة والاضطراب، وأبقى صفة لازمة من لوازم المشبه به والمتمثلة في كلمة(ترجف)، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية، وسرُّ جمالها البلاغي فيها هو(التشخيص) .

فالجملة(ترجف الأرض) هي جملة فعلية تتألف من فعل لازم وفاعل، بيد أن الأسرار والأغراض لهذه الجملة ماثلة في بلاغة القرآن الكريم، وهي متمثلة في الزلزلة التي ستحصل يوم القيامة.

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّس) [التكوير:18]

حيث شبه (الصبح) بـ(إنسان)، فذكر المشبه وهو (الصبح)، وحذف المشبه به وهو(إنسان)، بجامع الحياة والانطلاق، وأبقى صفة لازمة من لوازم المشبه به والمتمثلة في كلمة(تنفس)، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية، وسرُّ جمالها البلاغي فيها هو(التشخيص) .

ويقول **الزمخشري** في كشافه:" فإن قلت: ما معنى تنفس الصبح؟ قلت: إذا أقبل الصبح:

أقبل بإقباله روح ونسيم، فجعل ذلك نفسا له على المجاز". [46]

وكقوله - جلَّ وعلا: (نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ) [العلق:16]

حيث شبه (ناصية الإنسان وهي المقدمة) بـ(الإنسان)، فذكر المشبه وهو (الناصية)، وحذف المشبه به وهو(الإنسان)، بجامع الكذب، وأبقى صفة لازمة من لوازم المشبه به والمتمثلة في كلمة(كاذبة)، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية، وسرُّ جمالها البلاغي فيها هو(التشخيص).

ويؤكد ذلك ما قاله **أبو السعود** في تفسيره:" بدلٌ منَ الناصيةِ وإنَّما جازَ إبدالُها منَ المعرفةِ وهي نكرةٌ لوصفِها وقُرِنَتْ بالرفعِ على هِيَ ناصيةٌ وبالنصبِ وكلاهُما على الذمِّ والشتمِ ووصفُها بالكذبِ والخطأ على الإسنادِ المجازيِّ وهُمَا لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب المخطئ". [47]

المطلب الأول: السر البلاغي للكناية في القرآن الكريم.

أولًا- المفهوم الاصطلاحي:

الكناية هي من الفنون التي يتعين علينا في بعض الأحيان استعمالها، فتارة تكون للتوضيح، وتارة أخرى خشية خدش الحياء، ومرة ثالثة بُغْيَة إبراز الجمال الأسلوبي والبلاغي، وقد يكون من باب إظهار المحاسن أو المساوئ، وبالتالي فيها تقريب للصور وتجسيدها حتى تصل إلى الملتقى بسلام وسلاسة. وبناء عليه؛ ما يمكن استشفافه في المربع الكنائي أن الكناية سيكون لها الدور البارز والقوي في الحديث النَّبويّ الشريف كيف لا وهي من المقوّمات والدلائل الواضحات. والكناية عند البلاغيين هي:" لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه"[48].

([45])الزمخشري، الكشاف،134/7.
([46])الزمخشري، الكشاف،711/4.
([47])أبو السعود، تفسير أبي السعود،180/9.

([48]) ينظر: القزويني، الإيضاح، ص183.

ولأن النفس البشرية ترفض كل ما يقطب الجبين وتلفظ كل ما يؤثر على النفس سلبا حينها تحتم على الشاعر والناثر أن يأت بكناية لطيفة تجعل الوجه بشارا لا حامضا، ولا عبوسا أو قمطريرا.

ومن زاوية أخرى؛ فإن الكناية تأت من طريق البعد عن الفحش والبذاءة؛ لذا وجد الباحثان هذا اللون البياني بشكل متسع ومتمدد في القرآن الكريم.

ثانيا: أنواع الكناية مع بيان القيم الجماليَّة فيها:

1- كناية عن صفة:

الشواهد البلاغية والقيم الجمالية لهذا الفن البلاغي.

كقوله - جلَّ وعلا: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيم) [الزخرف:17].

فالشاهد البياني فيها هو قوله -تعالى(وجهه مسودا)، فهي كناية عن **صفة** وهي(الغم والحزن)، والسر البلاغي فيها هو التوبيخ. والمعنى" أي صار وجهه متغيرًا من الغم والحزن[49] وقال **القرطبي**: وهو كناية عن الغم والحزن وليس يريد السواد، والعربُ تقول لكل من لقي مكروهًا قد اسودَّ وجهه (وَهُوَ كَظِيمٌ) أي مملوءٌ غيظًا وغما"[50]

وكقوله - جلَّ وعلا: (فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُون) [الزخرف:83]

فالشاهد البياني فيها هو قوله -تعالى(يومهم)، فهي كناية عن **موصوف** وهي(يوم القيامة)، والسر البلاغي فيها هو التحذير والتنبيه. ومعنى الآية:" "أي إلى ذلك اليوم الرهيب الذي وُعدوه وهو يوم القيامة فسوف يعلمون حينئذٍ كيف يكون حالهم ومصيرهم ومآلهم".

وكقوله - جلَّ وعلا: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُون) [الجاثية:21]

فالشاهد البياني فيها هو قوله -تعالى(اجترحوا)، فهي كناية عن **صفة** وهي(الكسب والعمل)، والسر البلاغي فيها هو التحذير. ويقول **ابن عطية**: "معناه: اكتسبوا، ومنه جوارح الإنسان، ومنه الجوارح في الصيد، وتقول العرب: فلان جارحة أهله، أي كاسبهم". [51]

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُم) [محمد:16]

فالشاهد البياني فيها هو قوله -تعالى(طبع على قلوبهم)، فهي كناية عن **صفة** وهي(عدم التغيير)، والسر البلاغي فيها هو التوبيخ.

وكقوله - جلَّ وعلا: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُم) [محمد:19]

فالشاهد البياني فيها هو قوله -تعالى(فاعلم)، فهي كناية عن **صفة** وهي(طلب العلم)، والسر البلاغي فيها هو الحث والإرشاد.

([49])محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير،121/2.
([50])القرطبي، الجامع لأحكام القرآن(تفسير القرطبي)،116/10.
([51])ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،85/5.

وكما يقول **ابن عاشور** في التحرير والتنوير:" فالأمر في قوله (فاعلم) كناية عن طلب العلم وهو العمل بالمعلوم، وذلك مستعمل في طلب الدوام عليه؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد علم ذلك وعلمه المؤمنون، وإذا حصل العلم بذلك مرة واحدة تقرر في النفس؛ لأن العلم لا يحتمل النقيض فليس الأمر به بعد حصوله لطلب تحصيله بل لطلب الثبات" . [52]

وكقوله - جلَّ وعلا: (لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيد) [ق:22]

فالشاهد البياني فيها هو قوله -تعالى(فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ)، فهي كناية عن **صفة** وهي(الكشف بعد الغفلة)، والسر البلاغي فيها هو التقريع. ويشبع ذلك ما قاله **البيضاوي** في تفسير:" فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ الغطاء الحاجب لأمور المعاد، وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والإلف بها وقصور النظر عليها". [53]

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُوم) [الطور:48]

فالشاهد البياني فيها هو قوله -تعالى(فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا)، فهي كناية عن **صفة** وهي(الحماية الربانية)، والسر البلاغي فيها هو التأمين ونشر الأمان.

ويعلق **ابن كثير** على هذه الآية قائلا:" أَيِ: اصْبِرْ عَلَى أَذَاهُمْ وَلَا تُبَالِهِمْ، فَإِنَّكَ بِمَرْأًى مِنَّا وَتَحْتَ كَلَاءَتِنَا، وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ". [54]

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَان) [الرحمن:6]

فالشاهد البياني فيها هو قوله -تعالى(وَالنَّجْمُ)، فهي كناية عن **موصوف** وهو(النبات)، والسر البلاغي فيها هو لفت الانتباه وإعمال العقل. "فجاءت النجم بين الشمس والقمر، وهما آيتان سماويتان، والشجر وهو من نبات الأرض؛ لذلك صلحت النجم بمعنى نجم السماء، أو النجم بمعنى النبات الصغير الذي لا ساقَ له، مثل العُشْب الذي ترعاه الماشية في الصحراء". [55]

وكقوله - جلَّ وعلا: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُون) [الجمعة:10]

فالشاهد البياني فيها هو قوله -تعالى(فانتشروا في الأرض)، فهي كناية عن **الصفة** وهو(الحرية)، والسر البلاغي فيها هو الإجازة والإباحة. ويقول **ابن عاشور**:" والأمر في (فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) للإباحة". [56]

وكقوله - جلَّ وعلا: (إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيم) [التغابن:17]

فالشاهد البياني فيها هو قوله -تعالى(تقرضوا الله)، فهي كناية عن **صفة** وهي(الإنفاق)، والسر البلاغي فيها هو الحث والنصح، ويضيف **الطبري** في تفسيره قائلا." وإن تنفقوا في سبيل الله، فتحسنوا فيها النفقة، وتحتسبوا بإنفاقكم الأجر والثواب". [57]

([52])ابن عاشور، التحرير والتنوير، 88/26.
([53]) ناصر الدين البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل،141/5.
([54]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،438/7.
([55])محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي - الخواطر،10922/18.
([56])ابن عاشور، التحرير والتنوير،204/28.
([57])محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن،428/23.

وكقوله - جلَّ وعلا: (أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم) [الملك:22]

فالشاهد البياني فيها هو قوله -تعالى(مكبا على وجهه)، فهي كناية عن **صفة** وهي (عدم الهداية)، والسر البلاغي فيها هو الضلال والظلام، ويقول **البغوي** في تفسيره:"أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ، رَاكِبًا رَأْسَهُ في الضلالة والجهالة أعمى العين والقلب لَا يُبْصِرُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا وَهُوَ الْكَافِرُ." . (58)

وكقوله - جلَّ وعلا: (سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُوم) [القلم:16]

فالشاهد البياني فيها هو قوله -تعالى(سنسمه على الخرطوم)، فهي كناية عن صفة وهي(المهانة)، والسر البلاغي فيها هو التحقير والإذلال. ويضيف **ابن عاشور** قائلا:" استئناف بياني جوابا لسؤال ينشأ عن الصفات الذميمية التي وصفوا بها أن يسأل السامع: ما جزاء أصحاب هذه الأوصاف من الله على ما أتوه من القبائح والاجتراء على ربهم". (59)

ويوضح **ابن عاشور** معنى الآية في موضع آخر قائلا:" سنسم كل هؤلاء على الخراطيم، وقد علمت آنفا أن ذلك تعريض بمعين بصفة قوله: (أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) [القلم: 15] وبأنه ذو مال وبنين. و (الْخُرْطُومِ) : أريد به الأنف. والظاهر أن حقيقة الخرطوم الأنف المستطيل كأنف الفيل والخنزير ونحوهما من كل أنف مستطيل". (60)

وكقوله - جلَّ وعلا: (خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُون) [المعارج:44]

فالشاهد البياني فيها هو قوله -تعالى(خاشعة أبصارهم)، فهي كناية عن صفة وهو(الذل والاستكانة)، والسر البلاغي فيها هو التحقير، ويقول **الصابوني**:" أي ذليلة متواضعة أبصارهم لا يستطيعون رفعها (تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) أي تغشاهم وتلحقهم الذلة والهوان". (61)

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا) [نوح:17]

فالشاهد البياني فيها هو قوله -تعالى(أنبتكم)، فهي كناية عن موصوف وهو(الإنسان)، والسر البلاغي فيها هو محاسبة النفس." وأطلق على معنى: أنشأكم، فعل (أَنْبَتَكُمْ) للمشابهة بين إنشاء الإنسان وإنبات النبات من حيث إن كليهما تكوين كما قال تعالى: **(وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا) [آل عمران:37]**، أي أنشأها وكما يقولون: زرعك الله للخير، ويزيد وجه الشبه هنا قربا من حيث إن إنشاء الإنسان مركب من عناصر الأرض." (62).

وكقوله - جلَّ وعلا: (فَرَّتْ مِن قَسْوَرَة) [المدثر:51]

فالشاهد البياني فيها هو قوله -تعالى(قسورة)، فهي كناية عن موصوف وهو(الأسد)، والسر البلاغي فيها هو الإذلال والتحقير، ويؤكد ذلك ما ذهب إليه أحد المفسرين قائلا:" أي هربت ونفرت من الأسد من شدة الفزع، وقال ابن عباس: الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت، كذلك هؤلاء المشركون إذا رأوا محمداً-صلى الله عليه وسلم- َ هربوا منه كما يهرب الحمار من الأسد" . (63)

(58) أبو محمد البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن - تفسير البغوي،127/5.
(59)ابن عاشور، التحرير والتنوير،72/29.
(60) المصدر نفسه.
(61)محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير،406/3.
(62)ابن عاشور، التحرير والتنوير،189/29.
(63)محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير،456/3.

وكقوله - جلَّ وعلا: (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلاَ شُكُورًا) [الإنسان:9]

فالشاهد البياني فيها هو قوله -تعالى(لوجه الله)، فهي كناية عن صفة وهو(الإنفاق)، والسر البلاغي فيها هو الحث والإرشاد،" وجملة إنما نطعمكم لوجه الله في محل نصب على الحال بتقدير القول، أي: يقولون إنما نطعمكم، أو قائلين: إنما نطعمكم، يعني: أنهم لا يتوقعون المكافأة ولا يريدون ثناء الناس عليهم بذلك". (64)

وكقوله - جلَّ وعلا: (فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ) [المرسلات:21]

فالشاهد البياني فيها هو قوله -تعالى(قرار مكين)، فهي كناية عن **موصوف** وهو(الرحم)، والسر البلاغي فيها هو التحقير ويقول الرازي في تفسيره:" اعلم أن هذا هو النوع الثالث من تخويف الكفار" و"فجعلناه في قرار مكين وهو الرحم، لأن ما يخلق منه الولد لا بد وأن يثبت في الرحم ويتمكن بخلاف مالا يخلق منه الولد". (65)

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ) [البروج:3]

فالشاهد البياني فيها هو قوله -تعالى(شاهد ومشهود)، فهي كناية عن موصوفان وهماكما قيل:" يوم عرفة، ويوم الجمعة". (66)، والسر البلاغي فيها هو الأهمية والتركيز.

وكقوله - جلَّ وعلا: (خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ) [الطارق:6]

فالشاهد البياني فيها هو قوله -تعالى(ماء دافق)، فهي كناية عن صفة وهو(ماء الرجل (المني)، والسر البلاغي فيها هو التحقير، لذا يقول **سيد قطب**:" خلق من هذا الماء الذي يجتمع من صلب الرجل وهو عظام ظهره الفقارية ومن ترائب المرأة وهي عظام صدرها العلوية". (67)

وكقوله - جلَّ وعلا: (إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى) [الليل:20]

فالشاهد البياني فيها هو قوله -تعالى(ابتغاء وجه ربه)، فهي كناية عن **صفة** وهو(طلب الرحمة والرضا)، والسر البلاغي فيها هو الاستعطاف والاسترحام.

ويقول **فخر الدين الرازي** مؤكدا ذلك:" ابتغاء وجه ربه مستثنى من غير جنسه وهو النعمة أي ما لأحد عنده نعمة إلا ابتغاء وجه ربه كقولك ما في الدار أحدا إلا حمارا، وذكر الفراء فيه وجها آخر وهو أن يضمر الإنفاق على تقدير: ما ينفق إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى". (68)

ثم يعلق قائلا:" إنما فعل ما فعل لوجه الله إلا أن آية علي تدل على أنه فعل ما فعل لوجه الله، وللخوف من يوم القيامة". (69)

(64)محمد بن عبد الله الشوكاني، فتح القدير،419/5.
(65)فخرالدين الرازي، مفاتيح الغيب،772/30.
(66)الزمخشري، الكشاف،729/4.
(67)سيد قطب، في ظلال القرآن،3878/6.
(68)فخرالدين الرازي، مفاتيح الغيب،188/31.
(69) المصدر نفسه.

المطلب الرابع: السر البلاغي للمجاز المرسل في القرآن الكريم.

المجاز لُغةً: جزت الطريق وجاز الموضع جوازاً، وجاز به وجاوزه وأجازه غيره وجازه وجاوزه وأجاز غيره، وجازه: سار فيه، والمجاز والمجازة الموضع(70) .

المجاز اصطلاحا: عرف **عبد القاهر الجرجاني** المجاز فقال :"المجاز مفعل من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه، وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللُّغة وصفه بأنه مجاز على معنى أنهم جاوزوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع أولا" (71)

وقال:" أما المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وضعت له في وضع واضعها الملاحظة بين الثاني والأول"(72) .

وقد قسم البلاغيون المجاز على قسمين: مجاز عقلي ومجاز لغوي.

أولا: المجاز العقلي –الإسنادي- وأسراره البلاغية.

عرفه **السّكّاكي** فقال:" هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه؛ لضرب من التأويل إفادة للخلاف لا بوساطة وضع" .

وإذا ما رصدنا مواقف القدماء في استعمالاتهم لهذا المجاز نجد أنّهم لم يذكروا اسم هذا وإنّما أشاروا إلى معناه فسيبويه أورد قول الخنساء المتضمن المجاز العقلي:

ترعى إذا نسيت حتى إذا أدّركت		فإنما هي إقبــال وادبــار

وكقولهم:" نهارك صائم" و" ليلك قائم" . فسيبويه يحمل هذا الكلام على السعة والحذف.

ثانيا: المجاز المرسل وأسراره البلاغية.

أولًا- التعريف لُغةً واصطلاحًا:-

- **المفهوم الاصطلاحي:**

عرفه البلاغيون بقولهم:" هو اللفظ المستعمل في غيره المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي"(73) .

وتتجلى قيمة المجاز المرسل في الافتنان التعبيري، والمبالغة في المعنى، والإيجاز في العبارة، فالمعنى المجازي يقرر في النفوس لما يقيمه من البينة والبرهان، إضافة إلى أن في هذا التجوُّز استثارة لمكامن الشوق وجذبا للانتباه، وإدراكا لما في النصّ الأدبي من وجوه الحسن والجمال(74).

المجاز المرسل وعلاقته الجزئية:

الشواهد البلاغية والقيم الجمالية لهذا الفن البلاغي.

وقوله تعالى: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ)(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ) [الغاشية:7-8]

فليس في الجملتين سابقتا الذكر أخبارا دون فوائد بلاغية بل خرج عن كون السياق أخبارا، و

(70)ابن منظور، لسان العرب، مادة (جوز).

(71)عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 342.

(72) المصدر السابق، ص304.

(73)محمد عبدالرحمن الكردى، نظرات في البيان، ص224.

(74)د. بدوي طبانة، علم البيان، ص164.

جاء في هذين النصَّيْنِ إطلاق كلمة(وُجوه)، والمرادُ(أشخاصهم وذواتهم كُلُّها)، فهو من قبيل إطلاق اسم الجزء على الكلّ. . .

والغرض البياني من هذا الإطلاق، الإشارةُ إلى أنّ الوجوه هي التي تظهر عليها علامات البؤس من العذاب، وعلاماتُ السُّرور من النعيم"[75] (

-المجاز المرسل وعلاقته الكلية:

الشواهد البلاغية والقيم الجمالية لهذا الفن البلاغي.

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَام) [الرحمن:27]

فقد ذكر الجزء (وجه)، وقصد الكل (ذاته- سبحانه وتعالى)، وبالتالي فالعلاقة هنا جزئية.

ويقول **الرازي**: "ما كان يقوم مقام الوجه لفظ آخر ولا وجه فيه إلا ما قاله الله تعالى، وذلك لأن سائر الأسماء المعروفة لله -تعالى- أسماء الفاعل كالرب والخالق والله عند البعض بمعنى المعبود".[76]

وكقوله - جلَّ وعلا: (فَكُّ رَقَبَة) [البلد:13]

فقد ذكر الجزء (رقبة)، وقصد الكل (الإنسان)، وبالتالي فالعلاقة هنا جزئية، ولعلنا نستحضر هنا أن الإنسان قديمًا كان يربط من عنقه فيحبس أو يعتقل، فكانت الرقبة هي بمثاب العلامة للحبس، لذا استخدمت هذه اللفظة في قوله -تعالى- (فك رقبة)، وهذه من بلاغة القرآن الكريم.

وكقوله - جلَّ وعلا: (وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا) [نوح:7]

فقد ذكر الكل (أصابعهم)، وقصد الجزء (طرف الإصبع)، وبالتالي فالعلاقة هنا كلية.، ولكن الفائدة البلاغية لهذا التركيب النحوي واضح وجليّ، إذ إن ذكر لفظ (أصابعهم) وتوظيفها بدلا من استعمال اللفظ الحقيقي(طرف الإصبع) يدلل على محاولة غير طبيعية من قبل كفار قريش الذين لا يريدون أن يستمعوا للقرآن الكريم الذي يؤثر من أول وهلة على الأفئدة البشرية.

-المجاز المرسل وعلاقته المحلية:

كقوله - جلَّ وعلا: (وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلاَ نَاصِرَ لَهُم) [محمد:13]

فالمقصود في هذه الكلمة (قرية) هي مكة المكرمة؛ ولكنه قصد:" أهلها فذكر أنهم أخرجوه وقال في هذه الآية: وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها".

وبالتالي؛ ذكر المحل (القرية)، وأراد من في القرية وهم أهل مكة، فالعلاقة محلية، والتركيب النحوي هنا عبارة عن جملة فعلية، **و(قرية)** تعرب: اسم مجرور بمن وعلامة جرها الكسرة الظاهرة على آخره. لكن القوة والشدة للإنسان وليس للقرية مما لفت الانتباه وأعمل العقل، وأشغل الفؤاد.

-المجاز المرسل وعلاقته الحالية:

قال تعالى: (فَلْيَدْعُ نَادِيَه) [العلق:17].

والمعنى في الآية هنا هو: (فلْيَدْعُ أهْلَ ناديه)، وهذا من إطلاق المحلّ وهو النادي وإرادةِ الحالّ فيه، وهم أهل هذا المكان.

([75])عبد الرحمن الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص683.
([76])فخرالدين الرازي، مفاتيح الغيب،356/29.

"وفائدةُ هذا المجاز مع الإيجاز إرادةُ التعميم، لأنّ الناديَ يَحْوِي كلّ أهله، وإرادةُ أنصارِه المصطفين، لأنّ الإنسان يصطفى لناديه الخاصّ أخلَصَ المخلِصين له الذين يُدافعون عنه بصدق"(77).

#	العناوين	المجموع
-1	عدد السور المذكورة	32 سورة
-2	عدد الآيات المذكور	54 آية
-3	عدد الفنون المذكورة	4 فنون
-4	أكثر فنون البيان ذكرا	الكناية 21 مرة
-5	أقل فنون البيان ذكرا	المجاز المرسل 5 مرات

الأسلوبية الإحصائية

جدول إحصائي تفصيلي للفنون البيانية في الربع الأخير من القرآن الكريم

#	العناوين	السور ذات الصلة
-	علم المعاني (8 فنون)	54 آية
-1	التشبيه	19
-2	الاستعارة	16
-3	الكناية	14
-4	المجاز المرسل	5
المجموع	4 فنون	54

(77)عبد الرحمن الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها،، ص366.

بعد دراسة تأملية توصل الباحثان إلى مجموعة من النقاط التالية:

- اتضح أنّ الكناية هي الأكثر ورودا وظهورا، في علم البيان والسبب:
- لأن بعضًا من الكلمات تحتاج إلى غموض وتكنّي وخفاءً احترامًا للسنّ، وحفاظًا على النفوس، واستخدامًا لأجود الأساليب اللغوية، وحفاظًا على المشاعر البشرية تكون هذه الكناية.
- كما تستخدم الكناية كمدح وثناء يؤثران إيجابًا على نفس المتلقي.

المراجع:

القرآن الكريم.

ابن الأثير الموصلي، أبو الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم .(1995) .*المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر* (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد). بيروت: المكتبة العصرية.

آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز .(1987) .*القاموس المحيط* (ط 2، تحقيق: مكتبة تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة). بيروت: مؤسسة الرسالة، دار الريان للتراث.

إبراهيم، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم. (د.ت) .*الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز* (ط 1). بيروت: المكتبة العنصرية.

ابن أبي الإصبع المصري العدواني، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر. (د.ت) .*تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن* (تحقيق: الدكتور حفني محمد شرف). الجمهورية العربية المتحدة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي.

ابن حجة الحموي الأزراري، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله .(1987) .*خزانة الأدب وغاية الأرب* (تحقيق: عصام شعيتو، ط 1). بيروت: دار ومكتبة الهلال.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر .(2000) .*التحرير والتنوير* (30 ج، ط 1). بيروت، لبنان: مؤسسة التاريخ العربي.

ابن عباد، إسماعيل .(1994) .*المحيط في اللغة، كافي الكفاة الصاحب* (2 ج، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، ط 1). بيروت: عالم الكتب.

ابن عطية الأندلسي، لقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب .(2001) .*المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز* (7 مج، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط 1). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

ابن عقيل الهمذاني، بهاء الدين عبد الله العقيلي المصري .(1985) .*شرح ابن عقيل* (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط 2). دمشق: دار الفكر.

ابن مظور الإفريقي المصري، أبو فضل جمال الدين بم محمد بن مكرم .(1990) .*لسان العرب* (15 ج، ط 1). بيروت: دار الفكر، دار صادر.

أبو زهرة، محمد .(1998) .*المعجزة الكبرى: القرآن نزوله كتابته جمعه إعجازه جدله علومه تفسيره محكم الغناء به* .مصر: مطبعة المدني، المؤسسة السعودية.

أبو موسى، محمد محمد. (د.ت) .*البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية* .القاهرة: مكتبة وهبة.

الأشتر، عبد الكريم .(1983) .*شعر دعبل بن علي الخزاعي* (ط 2). دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية.

الآلوسي، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني. (د.ت) .*روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني* (تحقيق: علي عبد الباري عطية). بيروت: دار الكتب العلمية.

الأنصاري، حسان بن ثابت. (د.ت) .*ديوان حسان بن ثابت شرح ضابط بالحربية* .مصر: مطبعة السعادة.

بسج، أحمد حسن .(1995) .*ديوان ذي الرمة* (ط 1). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

التبريزي، الخطيب .(1994) .*شرح ديوان أبي تمام* (2 ج، ط 2). بيروت: دار الكتاب العربي.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر .(1968) .*البيان والتبيين* (تحقيق: المحامي فوزي عطوي، ط 1). بيروت: دار صعب.

جرادة، عز الدين صلاح .(1998) .*الجامع في الإعراب* (ط 1). فلسطين: دار آفاق، دار المستقبل.

الجرجاني النحوي، عبد القاهر. (د.ت) .*دلائل الإعجاز* (تعليق: محمود محمد شاكر). د.ن.

الجرجاني، الرمّاني والخطابي وعبد القاهر. (د.ت) .*ثلاث وسائل في إعجاز القرآن في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي* (تحقيق: محمد خلف الله أحمد وآخرون، ط 3). مصر: دار المعارف.

درويش، محيي الدين .(1992) .*إعراب القرآن الكريم وبيانه* (10 مج، ط 3). بيروت: اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع.

دعاس، قاسم حميدان. (1415هـ) .*إعراب القرآن الكريم* (3 ج). دمشق: دار المنير، دار الفارابي.

الذبياني، النابغة .(1911) .*ديوان النابغة الذبياني* .مصر: مطبعة الهلال بالفحالة.

الرازي، محمد بن عمر المعروف بفخر الدين. (د.ت) .*مفاتيح الغيب* (32 ج). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الزبيدي، محمد مرتضى. (د.ت) .*تاج العروس من جواهر القاموس* .بيروت، لبنان: منشورات دار مكتبة الحياة.

زغلول، حمزة الدرمرداش .(1981) .*نشأة الفنون البلاغية* .د.ت.

الزمخشري الخوارزمي، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر .(2009) .*الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل* (4 ج، ط 3). بيروت، لبنان: دار المعرفة.

السبكي، بهاء الدين .(2003) .*عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح* (تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، ط 1). بيروت: المكتبة العصرية.

السكّاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد علي. (د.ت) .*مفتاح العلوم* (ط 2). مصر: شركة ومطبعة مصطفى الحلبي.

سلام، محمد حسن .(2002) .*الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم* (ط 1). القاهرة.

سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي. (د.ت) .*في ظلال القرآن* (6 ج، ط 17). بيروت، القاهرة: دار الشروق.

السيوطي، جلال الدين .(2008) .*الإتقان في علوم القرآن* (ط 1). بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة ناشرون.